مجلة علوم التربية

دورية مغربية متخصصة

ملف خاص:

المخطط الاستعجالي للتربية والتكوين (2009-2011)

العدد الثاني والأربعون- يناير 2010

المدرس و المتعلمون ذوو الظروف والوضعيات الخاصة

عبد العاطي الأصفر أستاذ الترجمة، العيون.

إن الممارس لعملية التدريس يعيش أثناء ممارسته وضعيات محيرة تستدعي الكثير من التفكير والجهد لمواجهتها وربما اكتشافها والتعرف عليها، وتتمثل تلك الوضعيات في وجود متعلمين ذوي ظروف وحاجات متباينة ومتنوعة غير بادية بجلاء أ ويعانون مشكلا غير ظاهر من قبيل الإصابة بمرض نفسي أ والإحساس بنقص أ والمعاناة من إعاقة ما... كما قد تكون هاته الحاجات والوضعيات بادية مثل انطواء بعض التلاميذ أ وربما كونهم مشاغبين بشكل ملفت أ وكثيري الغياب أ ويعيشون مشكلا ما بل وربما لهم مستوى دراسيا رفيعا مقارنة مع زملائهم داخل الفصل مما يجعلهم يحسون بالرتابة والملل فيسلكون سبيلا يختلف من حالة لأخرى. ومن الأمثلة كذلك وجود أطفال ذوي نشاط حركي زائد « والواقع أن أي فصل دراسي، نادرا ما يخل ومن أحد هؤلاء الأطفال، الذين يظهرون بالنسبة للمدرسين، كما ل وكانوا أطفالا يشدون عن القاعدة العامة، التي يطالب بها النظام المدرسي، وهي قاعدة التزام الصمت والهدوء لإفساح المجال للمدرس وللمدرس وحده فرصة استعراض أشكال السلطة التي يجمعها في شخصه »(1) ... وبطبيعة الحال يصعب حصر نماذج هذه الوضعيات / الحالات التي قد يجهلها في الغالب الأعم المدرس، وإن بدت فلا يعرف الأسباب الكامنة وراءها لغياب من سيطلعه عليها فلا يأخذها بعين الاعتبار أثناء ممارسته الصفية ، مما قد يزيد في توسيع الهوة بينه وبين المتعلم الذي إما يظن أن المدرس لا يعيره الاهتمام اللائق وإما يشعر بالنقص لعدم قدرته على إبراز معاناته وطرح إشكالاته. وكل هذا يحدث أثرا نفسيا سلبيا وبليغا على المتعلم فيجعله يعاني الأمرين، وتتأثر بذلك سلبيا مسيرته الدراسية.

وعموما فتلك الوضعيات/ المشكلات المتحدث عنها والحاضرة بقوة في مؤسساتنا التعليمية والتي يمكن أن نسميها تجاوزا وضعيات متعلمين ذوي حاجات وحالات خاصة، لا يقصد بها المتعلمون المصابون فقط بإعاقة؛ فالإعاقة « عادة ما تدل على القصور أ والعجز المصاحب لعاهة معينة ، ومع هذا كله، فإن دلالة الإعاقة تبقى نسبيا مرتبطة بالمعايير المتبعة داخل الجماعة أ والمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد» [2]، ولكن المقصود كذلك هم متعلمون قد يعانون نفسيا أ ولهم مشكل ما أ ولا يستطيعون الانسجام مع الأجواء السائدة داخل الفصل الدراسي ، ومن ثمة متابعة دراستهم...

انطلاقا مما سلف يمكن بسط الأسئلة الرئيسة التالية : في ظل التحولات الاجتماعية وكذا الإصلاحات التي تعرفها منظومتنا التعليمية التي تقول إنها تولي أهمية قصوى للمتعلم وتجعله في مركز اهتمامها، ماذا يمكن القول عن موضوع تتبع مسار المتعلمين خصوصا في جانبه النفسي والسلوكي؟ وهل مدرستنا قادرة فعلا على تفهم بعض من معاناة متعلميها كي يستطيعوا مسايرة دراستهم في ظروف جيدة؟ وهل مدرستنا قادرة أيضا على تفهم معاناة بعض المدرسين في مجابهة الكثير من الوضعيات (الحالات الخاصة) التي يواجهونها خلال أداء مهمة التدريس؟.

المدرس أمام وضعيات مشكلات.

تتعدد الوضعيات المشكلات المرتبطة بالمتعلمين والتي يجابهها المدرس أثناء ممارسته كما قيل سالفا، غير أن تلك المجابهة قد تكون بمحض الصدفة لأن المتعلمين أ وأسرهم لا يطلعون المدرسة من إدارة ومدرسين بذلك، الشيء الذي قد تترتب عنه خلال وضعيات معينة نتائج وخيمة إذ يمكن أن يسلك المدرس ـ دون قصد ـ سلوكا يهدد مسيرة المتعلم ، فيتكون له إذن ه والآخر رد فعل أ وتحدث له انفعالات أ واختلالات. وعلى سبيل المثال يمكن أن نسرد وضعية مفترضة مثلا للتوضيح، إذ قد نجد تلميذا لا يقدر على القراءة وضبط مخارج الحروف نظرا لإصابته بعاهة على مستوى الأجهزة المسؤولة عن النطق أولإصابته بمرض نفسي يسبب له الخوف وعدم القدرة على مواجهة الزملاء والمدرس لعامل من العوامل. فهذه الأمور والأسباب قد لا يعلمها المدرس ، فيسلك سلوكا معينا كأن يحثه بنوع من الفضاضة على القراءة أ ويؤنبه أ ويوبخه أ ويهمشه...وبالطبع سيحدث كل سلوك من هذه السلوكات تأثيرا لدى هذا المتعلم الذي ربما قد يزيد في تعميق الهوة الفاصلة بينه وبين الدراسة وتلك الفاصلة بينه وبين مدرسيه وربما قد يثور في وجه المدرس والمدرسة وتحصد بذلك نتائج وخيمة، علما أن الهدف الرئيس للمدرسة ه وتكوين الإنسان الذي ينفع ذاته ومجتمعه على حد سواء.

إن نظير هذه الوضعية المفترضة وغيرها يدفعنا إلى بسط السؤال التالي: ترى ما هي العوامل الكامنة وراء جهل المدرس بمجريات متعلقة بمسيرة الكثير من متعلميه الذين يعيشون وضعيات وظروف خاصة؟.

أسباب جهل المدرس بظروف بعض الحالات الخاصة من المتعلمين

إن المدرس قد يطلع على ظروف بعض المتعلمين الذين يعانون مشكلا ما وذلك من خلالهم هم أنفسهم أ ومن خلال عائلاتهم أ وعن طريق إدارة المؤسسة التعليمية، لكن في الغالب الأعم تبقى الكثير من الوضعيات في طي الكتمان إلى أن تجد فرصة سانحة للبزوغ إن كتب لها ذلك، علما أن معرفة المدرس بهذه الأمور ستكون ذات طابع إيجابي بالنسبة للمتعلم بغية مساعدته على مسايرة دراسته في ظروف جيدة ، ومن ثمة سيحس بالراحة والاطمئنان وستصل المدرسة إلى بلوغ أهدافها المنشودة والتي على رأسها تكوين الإنسان كما ذكر آنفا. ونجد من بين أبرز الأسباب التي تقف وراء جهل المدرس ببعض الوضعيات الخاصة بنوعية من التلاميذ:

ـ عدم وجود تواصل بين الأسرة والمدرسة اللهم في حالات نادرة؛ فالواقع خير شاهد على ذلك إذ تقل نسب الأسر التي تتصل بالمدرسة وتتبع المسيرة الدراسية للأبناء وكل المتغيرات المرتبطة بها. وهنا نذكر التواصل سواء مع المدرسين أ ومع إدارة المؤسسة التعليمية لاطلاعها على كل مستجد يهم المتعلم الذي يعيش حالة معينة تستدعي أن تؤخذ بعين الاعتبار داخل المدرسة. ويمكن أن نسرد في هذا الباب كذلك غياب الكثير من جمعيات آباء وأولياء التلاميذ في خلق جسور التواصل بين الآباء والمؤسسات التعليمية قصد تدارس حالات التلاميذ التي تستدعي التدخل من أجل إيجاد الحلول وتدارك المواقف بسرعة وفي الوقت المناسب إذ ينحصرفي الغالب الأعم تدخل جمعيات آباء وأولياء التلاميذ في الجانب المادي من تجهيزات وإصلاحات وبناءات...

ـ ارتباطا بالنقطة السالفة، من الأمور التي يلزم الإشارة إليها ه وأن الثقافة السائدة في مجتمعنا تنظر نظرة خاصة متميزة بنوع من الاحتشام للإصابات والعوائق النفسية وكذا العاهات والعديد من المشكلات؛ وخير دليل على ذلك حجم الأشخاص الذين يزورون الأطباء النفسيين، فالأرقام تؤكد بالملموس أن القلة القليلة هي التي تعرض حالاتها على ذوي الاختصاص بغية إيجاد حلول عملية؛ وذلك يعود لمبررات متعددة. وهاته القلة القليلة منبثقة في الغالب الأعم من أوساط مثقفة أ وعلى الأقل واعية بحجم الضرر ولها تطلع لإيجاد الحلول. إلى جانب ذلك، هناك توجس من إبراز ظروف يعيشها بعض المتعلمين كطلاق والديهم أ والمعاناة المادية التي قد تكون أسبابا تؤثر سلبيا على مسيرتهم الدراسية وعلى سلوكاتهم داخل الفصل أ والمدرسة... ومرد إخفاء تلك الظروف راجع بالأساس إلى قناعات شخصية أ وللنظرة المجتمعية للطلاق وللفقر ولعوامل متعددة يصعب حصرها.

ـ إمكانية غياب تواصل بين المدرسين وإدارة المؤسسة التي قد تكون على علم بحالة بعض المتعلمين ومتطلباتهم، فتترك الأمور على عواهنها ولا تبلغ المعلومات للمدرسين ربما لغياب التنسيق معهم. هذا التنسيق قد يغيب بين المدرسين أنفسهم لتدارس بعض حالات المتعلمين التي تستدعي تدخلا سريعا وتعاملا خاصا

من أجل حل مشكلاتها ، وبذلك ستستفيد على النح والجيد من الدراسة. وهنا يمكن الإشارة كذلك إلى عدم تفعيل أدوار العديد من المجالس التي تعرفها المؤسسات التعليمية خصوصا في جانبها التربوي الخاص بالمتعلمين (مجالس الأقسام، المجالس التعليمية،المجالس التربوية، مجلس التدبير...).

ـ غياب مرشدين اجتماعيين واختصاصيين في الدعم والتوجيه النفسيين للاهتمام بالحالات الخاصة من التلاميذ وإيجاد حلول ناجعة لها ول وبشكل نسبي. وما نجده بمؤسساتنا للثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي هم المستشارون في التوجيه التربوي الذين يقومون» بعمليات الإعلام والتوجيه المدرسي والمهني وتحيين ونشر المعطيات والمعلومات المتعلقة بالآفاق التعليمية والمهنية، ويكلفون بدراسة واستثمار الملفات المدرسية والقيام بالمقابلات والفحوص السيكولوجية لفائدة التلاميذ» [3] بغية اختيار الشعب الدراسية والمدارس والمعاهد العليا. وهكذا تغيب في مؤسساتنا أطر مهمتها توجيه التلاميذ سيكولوجيا واجتماعيا وإنارة الطريق لهم حين تعترض سبيلهم حواجز أ وعوائق كيفما كان مصدرها وحجم ضررها.

ـ يلاحظ في بعض الأحيان عدم اكتراث بعض المدرسين بالمتعلمين ذوي الظروف والوضعيات الخاصة نظرا لوجود سبب من الأسباب التي تختلف من مستوى دراسي لآخر ومن وضعية لأخرى، وربما لظروف العمل من اكتظاظ وضغط إنجاز البرامج ولعوامل أخرى متعددة . إضافة إلى ذلك، هناك شخصية المدرس وقابلية الاهتمام بهاته الوضعيات إذ نجد أن بعض المدرسين يقولون بأن ذلك ليس من مهامهم ؛ بحيث قد لا تكون لهم القدرة على معالجة هذه الحالات التي تستدعي تكوينا خاصا ينضاف إليه تظافر جهود مختلف الفاعلين التربويين. وفي حقيقة الأمر يتحتم وجود اختصاصيين نفسيين واجتماعيين.

من أجل معالجة حالات المتعلمين ذوي الوضعيات والاحتياجات الخاصة.

إن مسألة أخذ المتعلمين ذوي الاحتياجات والوضعيات الخاصة بعين الاعتبار لا تعني بالضرورة دعوة إلى التفرقة وإلى التمييز بين المتعلمين، فهذا قد تنتج عنه نتائج غير محمودة ، ولكن ذلك يعني البحث عن السبل الكفيلة بجعلهم يتابعون دراستهم في ظروف جيدة قصد تحقيق الغايات المنشودة من النظام التربوي والتي يقتضي بلوغها « الوعي بتطلعات الأطفال (والمتعلمين بصفة عامة) وحاجاتهم البدنية والوجدانية والنفسية والمعرفية والفنية والاجتماعية. كما يقتضي في الوقت نفسه نهج السلوك التربوي المنسجم مع هذا الوعي، من الوسط العائلي إلى الحياة العملية مرورا بالمدرسة» [4] . وهكذا ينبغي تظافر الجهود وخلق جسور تواصل فعلية بين الأسرة والمدرسة لمعرفة وضبط السيرورة الدراسية للمتعلمين بشكل عام ولإيجاد حلول للمشكلات التي يتخبط فيها المتعلمون ذو والوضعيات الخاصة على وجه الخصوص. وفي هذا الصدد يمكن « تخصيص بعض الأيام وتهيىء الفرص لزيارة آباء وأولياء التلاميذ للمؤسسة كآخر يوم في الدورة، مع إعداد برنامج محكم وحافل لذلك الغرض، كتسجيل مشاكل التلاميذ التي تعترض سيرهم وقراءة تقارير عن النتائج الدراسية، وإبداء ملاحظات عامة، وفسح المجال للآباء لطرح اقتراحاتهم وإعطاء الحلول

حسب فهمهم وإمكانياتهم مع إخضاعها لظروف المؤسسة وأغراضها التربوية»[5]. ويبقى توفر المؤسسات التعليمية على المرشدين النفسيين والاجتماعيين أحد العناصر الأساسية لتجاوز الكثير من المصاعب التي يتخبط فيها العديد من المتعلمين إذ سيناقشون معهم مختلف همومهم وسيوجدون لها الحلول المناسبة عن طريق التتبع والتطرق لمختلف الجوانب التي لها تأثير عليهم سواء من بعيد أ ومن قريب وربما قبل ولوجهم عالم المدرسة لأن « التربية المعاصرة جعلت من أحد مبادئها الرئيسة البدء بمعرفة الطفل قبل تعليمه. ومعرفة الطفل لا تكتمل إلا بمعرفة وسطه السوسيوثقافي والاقتصادي كما تمثله الأسرة التي يعيش فيها سعيا لإقامة جسور الاتصال والتعاون معها لما يخدم تربية الطفل»[6]، ويساعده على متابعة دراسته في أحسن الظروف.

وهكذا تعرف فصولنا الدراسية حالات خاصة من التلاميذ لهم وضعيات معينة تستدعي جهدا من أجل التدخل لمعالجتها وإنارة الطريق لها كي تستطيع متابعة دراستها، وفي هذا الصدد سيكون هناك دور مهم للملحقين الاجتماعيين الذين سيقومون « تحت إشراف هيأة الإدارة التربوية بمهام دعم العمل الاجتماعي والصحي بالمؤسسات التعليمية»(7). كما يمكن أيضا خلق مراكز للاستماع بالمؤسسات التعليمية عن طريق إقامة شراكات مع اختصاصيين نفسيين أ واجتماعيين أ ومع اختصاصيين في قطاعات أخرى تبعا لحاجات المتعلمين وللوضعيات التي يتم مواجهتها. وفي ظل الظروف الراهنة، يبقى نساء ورجال التعليم يبذلون الجهد الجهيد ويتعاملون كل واحد من منظوره وحسب طاقته مع تلك الوضعيات مرتكزين على تجربتهم الخاصة وآخذين بعين الاعتبار الظروف المحيطة رغم الصعوبات الكبيرة التي تعترض سبيلهم، هذا مع العلم أن نظامنا التعليمي تبنى بيداغوجيا الكفايات هدفا في إرساء تكافؤ الفرص بين المتعلمين كيفما كانت وضعياتهم وبغية الإجابة على أسئلة من أبرزها: « كيف نجعل متعلمين ذوي خصائص مختلفة ينهون مسارهم الدراسي بنجاح؟ كيف نجعل هذا النجاح نجاحا في اكتساب المتعلم كفايات يمكنه تعبئتها تعبئة فاعلة تنجح في حل المشكلات التي يمكن أن تعترضه في سياقات مماثلة ومغايرة ؟...»[8]. وإن مسألة إرساء تكافؤ الفرص بين المتعلمين تقتضي بالضرورة إيجاد حلول عملية للمتعلمين ذوي الوضعيات والحالات الخاصة بما في ذلك المعاقين على اختلاف درجة الإعاقة، بغية تجاوز ظواهر سلبية أصبحت تطال مؤسساتنا التعليمية كالهدر والغياب والعنف والفشل والغش وغيرها... بمعنى آخر من أجل الحصول على مؤسسات تعليمية متسمة بالجودة على كافة المستويات والمناحي... كما ينبغي الاستثمار الميداني لنتائج الدراسات النظرية والتجريبية التي تناولت مختلف حالات المتعلمين المشار إليها آنفا على اختلاف تشعباتها وارتباطاتها مع التركيز عليها خلال مرحلة تكوين المدرسين. ورغم كل هذا وذاك تبقى أسئلة أساسية مطروحة وفارضة ذاتها، لعل أهمها: إلى أي حد استطاع نظامنا التعليمي معالجة حالات المتعلمين ذوي الوضعيات والظروف الخاصة وإيلاءها الأهمية اللازمة ؟ وماهي الوصفات الناجعة التي تم تحضيرها لهذا الإشكال ؟ هذا علما أننا أصبحنا نعيش عصرا يعرف تطورا صارخا على كافة المستويات يصاحبه تطور وتشابك على مستوى

المشكلات التي يمكن أن تواجه الإنسان/المتعلم، ومن ثمة يمكن أن تواجه المدرسة بصفتها الحلقة الرئيسة في النظام التعليمي.

الهوامش:

1ـ د.أحمد أوزي، الأطفال ذوي النشاط الحركي الزائد: التشخيص والعلاج، مجلة علوم التربية ع26، مطبعة النجاح الجديدة، فبراير2004، ص 67.

ـ2 عبد الكريم غريب، عز الدين الخطابي ومحمد فاوبار، نح وقراءة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، منشورات عالم التربية، مطبعة النجاح الجديدة 2004، ص217.

ـ3 النظام الأساسي الخاص بموظفي وزارة التربية الوطنية (10 فبراير2003)، المادة48.

4ـ المملكة المغربية، اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين، الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الغايات الكبرى.

5ـ ذ. حسن تركوي، الأسرة والمدرسة: أية علاقة؟، مجلة النداء التربوي ع7، مطبوعات الهلال 2000، ص 48.

ـ6 د.أحمد أوزي، المراهق والعلاقات المدرسية، منشورات مجلة علوم التربية 2، مطبعة النجاح الجديدة، 1993، ص 94.

7ـ النظام الأساسي الخاص بموظفي وزارة التربية الوطنية (10 فبراير2003)، المادة 85.

8ـ ذ.البشير اليعكوبي، بيداغوجيا الكفايات وسؤال تكافؤ الفرص، مجلة علوم التربية ع27، مطبعة النجاح الجديدة، شتنبر2004، ص37.